لمحة تاريخية : شكل اليهود منذ القديم جزءا هاما من المجتمع السوري ، وعلى وجه التحديد مجتمع المدن التجارية الكبرى ، مثل دمشق وحلب ، وقد لعبوا دوما دورا ملحوظا في الحياة الاقتصادية للبلاد ، وخاصة في مجالي التجارة الخارجية والعمل الحرفي . وما يزال هذا الدور ماثلا حتى اليوم ، مع الاخذ بعين الاعتبار ، التفاوت في الحجم والتاثير خلال هذا التاريخ الطويل . لقد خضع حجم وتأثير دور الاقلية اليهودية السورية لعوامل تاريخية عديدة سياسية واقتصادية ، ولم تكن هذه العوامل خاصة بالطائفة اليهودية ، بل عامة شملت آثارها جميع فئات المجتمع السوري . ففي مدينة دمشق مثلا حيث يتركز القسم الاكبر من اليهود السوريين ، وحيث يبرز أيضا ، الحجم الاهم لفعاليتهم التجارية والحرفية ، تعرضوا لهزات عنيفة بالتوافق والموازاة مع النكبات التي حلت بالمدينة خلال مختلف مراحل التاريخ . فبعد انهيار الدولة العباسية ، مثلا ، وبداية عصر الانحطاط في الامبراطورية العربية ، تعرضت المنطقة لغزوات خارجية عديدة ، ودخل في احداها القائد التتري (تيمورلنك) دمشق ، ولم يخرج منها الا بعد أن أخذ معه — كأسرى مدى الحياة — ثلاثين الف دمشقي من مختلف الطوائف ، جميعهم من العمال المهرة المتخصصين في البناء ، والصناعات الحرفية العريقة في سوريا ، كالنسيج والنحاس والزجاج والغزل ، وسخرهم لبناء عاصمته (سمرقند) وللعمل فيها(٢)، وكان بين هؤلاء عدد لا بأس به من اليهود . وبعد هذا التاريخ بأربعة قرون ونيف ، تعرضت دمشق لنكبة اخرى ، فاثر افتتاح قناة السويس تحول طريق التجارة بين اوروبا واسيا عن دمشق ، التي كانت مركزا هاما للنقل البري بين القارتين، وأصبح مثلا ، اكثر من الف جمل كانت تستخدم لنقل البضائع عبر الصحراء ، عاطلة عن العمل ، وتوقف قطاع التجارة الخارجية فترة من الزمن ، مما اضر بالتجار وبمجموع السكان في المدينة ضررا بالغا . وبالرغم من اننا لا نملك ارقاما دقيقة عن تلك الفترة ، فانه يقال ان المدينة التجارية الكبرى ، قد تحولت الى قرية معزولة ، وانتقلت نشاطات التجار الى المدن الساحلية ، وبعضهم هاجر نهائيا الى بلاد اخرى ، وانحدر عدد السكان اليهود في تلك الفترة الى ما دون النصف .

وفي التاريخ الحديث ايضا عرفت سوريا حركة هجرة واسعة نسبيا ، شملت قطاع التجار المتوسطين والصغار والحرفيين ، وافرادا من المغامرين والمثقفين من مختلف الاديان والمناطق السورية ، وكانت السياسة العثمانية ، الاقتصادية والدينية وراء هذه الحركة الناشطة للهجرة . فعلى الصعيد الاقتصادي اندحرت المدن التجارية السورية بعد فتح قناة السويس وانتشرت حالة من التخلف الشامل في كل القطاعات الزراعية والتجارية والحرفية . واذا كان الريف الزراعي قد عرف شيئا من الاستقرار « المكاني » نتيجة ارتباط الفلاح بأرضه ، فان طبقة التجار من ابناء المدن كانت في تحرك دائم وهجرة مستمرة .

وعلى الصعيد السياسي ، عانت البلاد الواقعة تحت الحكم العثماني ، ومنها سوريا ، من العسف الاستبدادي والتمييز العنصري والديني ، وبلغت هذه السياسة ذروتها في مطلع القرن الحالي ، اثر حركة التتريك التي قادتها البورجوازية الشوفينية التركية على يد حزب « الاتحاد والترقي » . ومع أن هذه الحركة لم تكن موجهة ضد طائفة معينة أو هيئة محددة من ابناء الشعب السوري او ابناء البلاد العربية الاخرى ، ذلك أن مجموع السكان كانوا يحسون بوطأتها ، فان الاقليات ، بوجه خاص قد عانت منها بتحسس بالغ . وانعكست مظاهر هذا التحسس في حركة الهجرة الواسعة وفي المزيد من العزلة والانغلاق الاجتماعيين . واذا أخذنا بعين الاعتبار بعض خصائص الطائفة الموسوية ، من حيث قلة عددها نسبيا ، ومن حيث اعتمادها على التجارة اكثر من اي فرع اخر من